

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾
عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾

[الشعراء: 192 - 195]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

بعد سرد القصص السابقة، والتعقيب على كل قصة، انتقل السياق للتنبؤ به بشأن القرآن، فإنه المعجزة الباقية التي لا تضاهيها أي معجزة؛ لا سيما أنه المعجزة التي كذب بها المشركون، ولم ينزل عليهم عذاب من الله بسبب تكذيبهم كما نزل على السابقين، فهو انتقال من القصص التي سيقى بغرض الاعتبار، إلى ذكر ما يجب أن يُعتبر به، وهو القرآن الكريم.

الانتقال من
سرد قصص
الاعتبار إلى
كتاب الاعتبار

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿الرُّوحُ﴾: (روح) أَصْلُ كَبِيرٌ مُطَرَّدٌ يَدُلُّ عَلَى سَعَةٍ وَفُسْحَةٍ واطِّرَادٍ، وَأَصْلُ ذَلِكَ كُلُّهُ الرِّيحُ؛ وَأَصْلُ الْبَاءِ فِي الرِّيحِ الْوَاوُ، وَإِنَّمَا قُلِبَتْ بَاءٌ لِكَسْرَةِ مَا قَبْلَهَا، فَالرُّوحُ رَوْحُ الْإِنْسَانِ، وَإِنَّمَا هُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الرِّيحِ، وَكَذَلِكَ الْبَابُ كُلُّهُ، وَالرُّوحُ: جَبْرَائِيلُ ﷺ؛ قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ﴾ وهو أمين وحي السماء⁽¹⁾.

(2) ﴿الْمُنْذِرِينَ﴾: (نذر) كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَخْوِيفٍ أَوْ تَخَوُّفٍ؛ وَمِنْهُ الْإِنْذَارُ: الْإِبْلَغُ، وَلَا يَكَادُ يَكُونُ إِلَّا فِي التَّخْوِيفِ، وَتَنَازَرُوا: خَوْفٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا⁽²⁾، وَالْإِنْذَارُ: تَخْوِيفٌ مَعَ إِعْلَامٍ مَوْضِعِ الْمَخَافَةِ، مِنْ قَوْلِكَ: نَذَرْتُ بِالشَّيْءِ إِذَا عَلِمْتَهُ فَاسْتَعَدَدْتَ لَهُ؛ فَإِذَا خَوَّفَ الْإِنْسَانُ غَيْرَهُ وَأَعْلَمَهُ حَالًا مَا يَخْوْفُهُ بِهِ: فَقَدْ أَنْذَرَهُ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ لَمْ يَقُلْ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (روح).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نذر).

أنذره، والإنذار إحسانٌ من المُنذر، وكلّما كانت المخافة أشدَّ كانت النعمة بالإنذار أعظم؛ ولهذا كان النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أعظمَ النَّاسِ مَنَّةً بإنذاره لهم عقابَ الله تعالى، والإنذار لا يكون إلا بالزجر عن القبيح وما يعتقد المنذرُ قبحه⁽¹⁾.

(3) ﴿بِلِسَانٍ﴾: (لسن) أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى طَوْلٍ لَطِيفٍ غَيْرِ بَائِنٍ، فِي عُضْوٍ أَوْ غَيْرِهِ، مِنْ ذَلِكَ: اللِّسَانُ، مَعْرُوفٌ، وَهُوَ مُذَكَّرٌ، وَالْجَمْعُ أَلْسُنٌ، فَإِذَا كَثُرَ فَهِيَ الْأَلْسِنَةُ، وَيُقَالُ لَسَنَتُهُ، إِذَا أَخَذَتْهُ بِلِسَانِكَ، وَاللَّسَنُ: جَوْدَةُ اللِّسَانِ وَالْفَصَاحَةِ، وَاللَّسَنُ: اللُّغَةُ، يُقَالُ: لِكُلِّ قَوْمٍ لِسَنٌ أَيْ لُغَةٌ⁽²⁾؛ وَالْمَقْصُودُ بِاللِّسَانِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾: اللُّغَةُ، بِدَلِيلِ وَصْفِهِ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْإِبَانَةِ.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

تُبَيِّنُ الْآيَاتُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ إِنَّمَا هُوَ تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ جَبْرِيلُ   عَلَى قَلْبِ الْمُصْطَفَى  ، بَغَرَضٍ جَعَلَهُ آلَةُ الْإِنْدَارِ، لِعِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَقَدْ اخْتَارَ سَبْحَانَهُ الْعَرَبِيَّةَ لُغَةً الْقُرْآنَ، لِمَا تَحْوِيهِ مِنْ قُوَّةِ الْبَيَانِ، وَبِرَاعَةِ الْفَصَاحَةِ، وَجَمَالِ الْبَلَاغَةِ؛ فَهِيَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمُعْجَزَةُ الْإِسْلَامِ الْخَالِدَةُ.

وَقَدْ اجْتَمَعَتْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَعْظَمُ الْأَوْصَافِ لِكِتَابِ اللَّهِ  ، حَيْثُ وَصِفَتْ أَفْضَلُ الْكُتُبِ وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، فَجَعَلْتَهُ أَوَّلًا تَنْزِيلًا مِنْ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ خَصَّصَتْ مَنْ نَزَلَ بِهِ، وَهُوَ أَمِينُ وَحْيِ السَّمَاءِ   الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ الْمَلَائِكَةِ، عَلَى أَفْضَلِ الْخَلْقِ، عَلَى أَفْضَلِ بَعْضَةِ فِيهِ، وَهِيَ قَلْبُهُ، الَّذِي نَقَاهُ اللَّهُ مِنْ حُظِّ الشَّيْطَانِ، عَلَى أَفْضَلِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، بِأَفْضَلِ الْأَلْسِنَةِ وَأَفْصَحِهَا، وَأَوْسَعِهَا، وَهُوَ اللَّسَانُ

(1) الْعَسْكَرِيُّ، الْفُرُوقُ اللَّغَوِيَّةُ، ص: 78.

(2) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَائِيسُ اللَّغَةِ: (لسن).

أَفْضَلِيَّةُ التَّنْزِيلِ
وَالنَّازِلُ بِهِ
وَالنَّزْلُ عَلَيْهِ

العربي المبين⁽¹⁾؛ واختارت الآيات أشرف الألفاظ وأقواها وأظهرها،
توافقاً مع مقام كتاب الله جلّ شأنه.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

بلغة عطف الآية على ما سبق:

لما بدأ النظم الكريم قصص الأنبياء في السورة المباركة، وشرع
في عدّ آيات على صدق الرسول ﷺ بذكر عواقب المكذّبين برسلهم:
ناسب أن يختم بما بدأ به أول السورة، وهو التأكيد على صدق نبوته
ﷺ وصدق القرآن، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فبواو
العطف اتّصلت الجملة بالجملة التي قبلها، وبضمير القرآن في قوله
﴿وَإِنَّهُ﴾ اتّصل غرضها بغرض صدر السورة⁽²⁾؛ وكأنه عاد أيضاً إلى
ما افتتح به السورة من إعراض المشركين عما يأتيهم من الذكر،
ليتناسب المفتتح والمختتم⁽³⁾، فوصل بين هذه الآية وما سبقها من
مفتاح السورة الكريمة إيذاناً بأن ما ذكر إنما ذكر تسريّة وتسليّة
لرسول الله ﷺ، واستدلالاً على صدقه وصدق القرآن.

بلغة التأكيد في الآية:

التأكيد بـ (إِنَّ) ولام الإبتداء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ لردّ إنكار المنكرين⁽⁴⁾، ودحض جحد الجاحدين، من
مشركي مكة وغيرهم الذين ادّعوا أنّ القرآن من كلام محمد، وذلك
مشاراً إليه في أول السورة: ﴿لَعَلَّكَ بَلِغٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾
إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ۖ وَمَا
يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۖ فَقَدْ كَذَّبُوا﴾
[الشعراء: 3-6]؛ ففرض التأكيد على بابه في الردّ على المنكرين المكذّبين.

القرآن قطعة
واحدة، مهما
تباعدت جملة،
وطالت آياته

ردّ الإنكار
ودحض الجحد
من وظائف
التوكيد

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 597.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 102 / 19.

(3) أبو حيان، البحر المحيط: 8 / 188.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 102 / 188.

نكتة عود ضمير ﴿وَأَنَّهُ﴾ على غير مذكور:

شهرة شأن
القرآن لم تخرج
إلى التصريح به

الضميرُ في قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ عائِدٌ على القرآن، أي: إِنَّهُ لَيْسَ بِكَهَانَةٍ وَلَا سِحَرٍ، بَلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ⁽¹⁾، ورجع الضمير إلى القرآن، مع عدم ذكره قريباً: شهرة شأنه، وفرط تعيّنه؛ وهذا يدلُّ على فخامة شأنه، وأَنَّهُ مِنَ الظُّهُورِ بَحِيثٌ لَا يَخْفَى عِنْدَ جَمِيعِ الْمُخَاطَبِينَ، الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ وَالْكَافِرِينَ.

غرض استعمال مصدر التّنزيل:

للبالغة في
الوصف، حتّى
كأنّ النّزل نفس
التّنزيل

جاء الإخبار عن القرآن بلفظ التّنزيل في قول الله تعالى ﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ - والتّنزيلُ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ - لِلْمُبَالَغَةِ فِي الْوَصْفِ، حَتَّى كَأَنَّ الْمُنْزَلَ نَفْسُ التَّنْزِيلِ⁽²⁾، فوصفه بأنّه (تنزيل)، مع أَنَّهُ (مُنْزَلٌ): أبلغ من أن يقال: (منزل رب العالمين)، مبالغة في التّويه بشأن القرآن، وتشريفاً وتعظيماً لكتاب الله، وإيجازاً في العبارة.

بلغة التعبير بالتّنزيل دون الإنزال:

نُزُولُ الْقُرْآنِ
مُفَرَّقًا دَلِيلٌ بَيِّنٌ
عَلَى الْحِكْمَةِ
وَالْعِلْمِ

التعبيرُ بـ﴿لَنَزِيلُ﴾ مصدرًا للفعل المضعّف (نَزَلَ) في قول الله تعالى ﴿وَأَنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، دون المصدر (إنزال) للفعل (أَنَزَلَ): للإشارة إلى ثَقَلِ الْقُرْآنِ وهو يَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ وهذا ما يتوافق مع ما كان يحدثُ لرسولنا الكريم من تعرُّقٍ وقت نُزُولِ الْوَحْيِ لِثِقَلِهِ عَلَيْهِ، وَمِمَّا يُفِيدُهُ التَّضْعِيفُ كَذَلِكَ: نَزُولُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُفَرَّقًا فِي أَوْقَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، لِتَثْبِيتِ فُؤَادِ النَّبِيِّ ﷺ، حَيْثُ لَمْ يَنْزِلْ جُمْلَةً وَاحِدَةً.

فائدة إضافة ﴿لَنَزِيلُ﴾ إلى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾:

ما كان من الله
فهو شريف
عظيم

أفادت الإضافة في قوله تعالى: ﴿لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهي بمعنى (من)، أي: (تنزيل من رب العالمين): صلاحية هذا التّنزيل، ليكون

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 8 / 188.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19 / 188.

دستورًا لجميع العالمين، حيث نزلَه ربُّ العالمين موافقًا لقدراتهم،
نافعًا لهم في أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم، وهو ربُّهم وأعلمُ بهم
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: 14)؛ مع ما في الإضافة
من التشريف والتعظيم لهذا القرآن، والإيجاز في العبارة.

مناسبة اختيار عنوان الرّبوبيّة:

أثر النظم عنوان الرّبوبيّة في قوله تعالى ﴿لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
للإيدان بأنّ تنزيله من أحكام تربيته تعالى ورحمته بالعالمين؛ فهو
المنزل، وهو الرّب، والرّب أعلم بما يصلح خلقه وعباده، ومن ثمّ
نزل القرآن دستورًا لهم، يضمن لهم صلاح الدّين والدّنيا.

معنى تعريف ﴿الْعَالَمِينَ﴾:

التعريف في لفظ ﴿الْعَالَمِينَ﴾ للجنس، أي جنس العالمين؛ ليشمل
بذلك عالمي الجن والإنس، وهم المخاطبون بالتكليف.

علّة فصل الآية:

جاء قول الله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ مفصلاً عمّا قبله،
ويمكن توجيه الفصل بأنّ الجملة صفة لـ ﴿لَتَنْزِيلُ﴾⁽¹⁾، فالقرآن
تنزيلٌ موصوفٌ بأنّه ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، ويجوز أن تكون الجملة
خبرًا ثانيًا لـ ﴿وَأَنَّهُ﴾، فيكون من تعدّد الخبر، تعظيمًا لشأن القرآن
بتعدّد الخبر عنه؛ وحينئذ يكون الفصل داخلًا في باب الفصل بين
المفردات، حيث إنّ الجملة في محلّ رفع خبرٍ ثانٍ لـ (إنّ).

ويحتمل الفصل أن يكون استئنافًا بيانيًا، لتكون الآية جواب سؤال
تقديره: مَنْ نزل بالقرآن، وعلى من نزل؟⁽²⁾ فجاءت جملة ﴿نَزَلَ بِهِ
الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ على قلبك بمثابة الجواب عن هذا السؤال المقدّر
في النفس، ففصلت عن سابقتها كما يفصل الجواب عن السؤال؛

تنزيل القرآن
من معالم
رّبوبيّته سبحانه

احتمال كمال
الاتصال وشبهه

(1) درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 137 / 7.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 188 / 19.

وسرّ الفصل هو شبه كمال الاتصال، والفصل هنا يستقصي الهواجس النفسية والمعاني والخواطر التي تجول بقلب المخاطب، لتأتي إجابتها في الجملة التالية.

نكتة التعبير بلفظ ﴿نَزَلَ﴾:

النزول الجملي
هو النزول الأول
إلى السماء
الدنيا

لما كان النزول دفعياً، والتّنزِيل للتدرّج، عبّر هنا بالفعل ﴿نَزَلَ﴾ الذي مصدره النَّزُولُ؛ ليدلّ على نزوله دفعةً واحدةً ليلةً القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ثمّ نزل بعد ذلك مفرّقاً منجّماً على النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ثلاث وعشرين كما وردت به الروايات⁽¹⁾.

نكتة مجيء الفعل ﴿نَزَلَ﴾ ماضياً:

الوعد بنزول
القرآن الكريم
كلّه

لما كان القرآن ينزل تدرّجياً كان التعبير بصيغة الماضي ﴿نَزَلَ﴾ في قول الله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، دون أن يقال (يُنْزِلُ)، وهذا من مجيء الكلام على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأنّ الآية الكريمة نزلت والقرآن ما زال يتنزل؛ ونكتة ذلك: الوعد الضمنيّ باكتمال نزول القرآن على قلب رسول الله ﷺ، فإنّ الإخبار عن النّزول هو لا باعتبار ما نزل فحسب، بل باعتبار ما نزل وما سينزل، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَنَّى أَمُرُ اللَّهَ﴾ [النحل: 1].

قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَحَفْصٌ وَأَبُو جَعْفَرٍ بِتَخْفِيفٍ زَايٍ ﴿نَزَلَ﴾ وَرَفَعَ ﴿الرُّوحُ﴾: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ الْكِسَائِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ وَيَعْقُوبُ وَخَلَفٍ ﴿نَزَلَ﴾ بِتَشْدِيدِ الزَّايِ وَنَصَبِ ﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾، أَي: نَزَلَهُ اللَّهُ بِهِ⁽²⁾، والقراءة الأولى جعلت جبريل ﷺ فاعلاً، فهو

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 79.

(2) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص: 165، وابن الجزي، النشر، 2/ 336، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 188/ 19.

أَمِينُ وَحْيِ السَّمَاءِ، والواسطةُ بينَ الله ورسوله، وعلى القراءة الثانية فاعلُ التَّنْزِيلِ هو الضَّميرُ المستترُ العائدُ على الله تعالى، وهي تجعل تكليفَ التَّنْزِيلِ أمرًا مباشرًا وتكليفًا من الله لجبريل ﷺ؛ وفي هذا اهتمامٌ بشأن القرآن الكريم، والقراءتان أفادت أن الإنزال ابتداءً كان بأمر الله تعالى، وأن جبريل هو من تولى ذلك.

دلالة الجار والمجرور في: ﴿بِهِ﴾ ومعناه:

الباءُ في قَوْلِهِ تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ لِلْمَلابِسةِ والمصاحبة⁽¹⁾، أي: مصاحبًا له؛ وهي تدلُّ على أن نزوله بالقرآن كان وظيفَةً خاصَّةً بأَمِينِ الوحي جبريل ﷺ، والجار والمجرور في موضع الحال، وهي حالٌ مقيِّدٌ لعامِله؛ فالنَّزولُ ملتبسٌ بالقرآن مصاحبٌ له لا يفارقه.

نَزُولُ جبريل
مُصَاحِبٌ لِنَزُولِ
القرآن

فائدة تقديم شبه الجملة ﴿بِهِ﴾:

قدَّم النِّظْمُ الكريم الجار والمجرور ﴿بِهِ﴾ من قوله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ على ما هو فاعلٌ في قراءة الرَّفْعِ، ومفعولٌ في قراءة النَّصْبِ؛ لأنَّ القرآن هنا محطُّ الاهتمام؛ فقدَّمه لكون ذكره أهمَّ، فهو محورُ الحديث، ومرتكزُ الكلام.

نكتة التعبير بلفظ ﴿الرُّوحُ﴾:

﴿الرُّوحُ﴾ من قول الله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ هو جبرئيل ﷺ، وهو لَقَبُهُ في الْقُرْآنِ، سُمِّيَ رُوحًا لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ مِنْ عَالَمِ الرُّوحَانِيَّاتِ، وهي الْمَجْرَدَاتُ⁽²⁾، ولما ينزل به من القرآن الكريم الذي هو رُوحُ النَّاسِ، فهو مصدرُ الإحياء بعد موت القلوب والنفوس؛ فهي تسميةٌ ملحوظٌ بها الأصلُ، والمآلُ.

القرآن يُحيي
القلوب الموات
ويُنْهَضُ
النفوس الفوات

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 188 / 19.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 188 / 19.

نكتة الوصف بصفة «الأمين»:

صفة الأمين
هي مرتكز أداء
الرسالة

الأمين من قول الله تعالى «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ» صِفَةُ جِبْرِيلَ ﷺ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَنَهُ عَلَى وَحْيِهِ⁽¹⁾، وفي الوصف إشارة إلى كونه معصوماً من كل دَس، فلا يمكن منه خيانة⁽²⁾؛ لِأَنَّ الموضع موضع أداء الأمانة وهي الرسالة؛ فالوصف قطعٌ لألسنة المتقولين على الرسول والقرآن والوحي.

دلالة التعبير بصيغة «الأمين»:

أمانة الرسول
مبعث على
اطمئنان المرسل
إليه

صفة «الأمين» من قول الله تعالى «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ» على وزن (فَعِيل)، فهي صيغة مبالغة؛ والمراد منها: المبالغة في اتصافه بصفة الأمانة، في إيصال الوحي، دون زيادة أو نقصان.

بلادة استعمال حرف الاستعلاء «عَلَى»:

نزول القرآن على
قلب المصطفى
تمكّن راسخ

حرف «عَلَى» استعمل في قول الله تعالى: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٨٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ» لِإِسْتِعْلَاءِ المجازي؛ لِأَنَّ النُّزُولَ وَصُولٌ مِنْ مَكَانٍ عَالٍ فَهُوَ مُقْتَضٍ اسْتِقْرَارَ النَّازِلِ عَلَى مَكَانٍ، وَمَعْنَى نَزُولِ جِبْرِيلَ عَلَى قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ: اتِّصَالُهُ بِقُوَّةِ إدْرَاكِ النَّبِيِّ لِإِلْقَاءِ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ فِي قُوَّتِهِ الْمُتَلَقِّيَةِ لِلْكَلَامِ الْمَوْحَى بِإِلْفَاظِهِ؛ ففِعْلُ «نَزَلَ» حَقِيقَةٌ، وَحَرْفُ «عَلَى» مُسْتَعَارٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى التَّمَكُّنِ مِمَّا سُمِّيَ بِقَلْبِ النَّبِيِّ⁽³⁾.

بلادة المجاز المرسل في ذكر القلب:

القلب محل
الوعي والتثبیت
والحفظ

آثر النظم ذكر القلب في قوله تعالى «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٨٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ» دون أن يُقال (عليك)، من باب المجاز المرسل، بإطلاق الجزء وإرادة الكل؛ لِأَنَّ القلبَ محلُّ الْوَعْيِ وَالتَّثْبِيتِ، وَلِيُعْلَمَ أَنَّ الْمُنْزَلَ عَلَى قَلْبِهِ ﷺ مَحْفُوظٌ، لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ التَّبْدِيلُ وَلَا التَّغْيِيرُ⁽⁴⁾،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 188 / 19.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 96 / 14.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 189 / 19.

(4) أبو حيان، البحر المحیط: 188 / 8.

وقد أُسْقِطَتِ الواسطةُ إشارةً إلى أنَّه - لشدة إلقاءه السَّمْعَ وإحضاره الحِسَّ - يصير في تمكُّنه منه بحيث يحفظُه فلا ينسى، ويفهمُه حقَّ فهمه فلا يخفى؛ فدخله إلى القلب في غاية السَّهولة، حتَّى كأنَّه وصل إليه بغير واسطة السَّمْع، عكس ما يأتي عن المجرمين، وهكذا كلُّ من وعى شيئاً غايةً الوعي يحفظُه كلَّ الحفظ⁽¹⁾.

دلالة الإضافة في ﴿قَلْبِكَ﴾:

أضيف لفظُ القلب إلى الكاف في قول الله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ﴾، وهي خطابٌ للنبي ﷺ، أي: على قلبك يا محمَّد، الذي هو أشرفُ القلوب وأعلاها، وأضبطُها وأوعاها، فلا زيغُ فيه ولا عوج⁽²⁾؛ فهي إضافة تشريفٍ وتعظيمٍ لقلب رسول الله، الذي هو قطعةٌ منه.

قلبُ رسول
الله أشرفُ
القلوب وأعلاها
وأضبطُها
وأوعاها

نوع لامٍ ﴿لَتَكُونُ﴾ ودلالاتها:

اللام في قول الله تعالى ﴿لَتَكُونُ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ لتعليل ما سبق، أي: نزل القرآن لتكونَ من المُنذِرِينَ الْمُحْذَرِّينَ المُنذِرِينَ لمن أعرض عن الإيمان، وفعل ما نهى عنه من العصيان⁽³⁾، فاللام للتعليل، أي تعليل النُّزول على قلب النبي ﷺ؛ لأنَّ الإنذار يكون بعد حفظه، فهي علَّةٌ في التَّنْزِيلِ أو النُّزولِ؛ واقتصرَ على ذكر الإنذار؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَرْجَرُ لِلسَّامِعِ، والمقام مقامُ تخويفٍ وتحذير⁽⁴⁾.

تعليلُ النُّزول
بيانٌ لوظيفةِ
الرَّسول

نكتة التعبير بفعل الكون ﴿لَتَكُونُ﴾:

استعمل النظم الكريمُ فعلَ الكون في قوله تعالى: ﴿لَتَكُونُ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ للإشعارِ بأنَّ وصف الإنذار صفةٌ ملازمةٌ لرسول الله

الإيماءُ إلى
أصالة اتِّصافه
بصفةِ
النَّذارةِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 97 / 14.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 96 / 14.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 97 / 14.

(4) أبو حيان، البحر للحيط: 188 / 8.

﴿﴾، أي: الاتِّصاف على جهة الجبلة والوصف اللازم؛ فهو ﴿﴾ منذرٌ أصالةً بتحذير النَّاسِ مِنَ الشَّرِّ، وتنبيههم على مواضع الباطل.

نوع ﴿مِنْ﴾ وبلاغتها:

آثر النظم الكريم أن يأتي وصف النَّبِيِّ ﴿﴾ بجعله من جملة المنذرين باستعمال حرف ﴿مِنْ﴾ الدال على التبعض في قوله تعالى: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾، دون أن يُقال: (لتكون منذراً)؛ وذلك للإشعار بانتظامه ﴿﴾ في سلك أولئك المشهورين بتلك المزية الجليلة، والمنقبة الفاضلة، المذكورين في قصص السورة الكريمة؛ وهي الرسالة الإلهية بالإنذار، فهو واحدٌ منهم، سائرٌ على منهجهم، وهذا التبعض يدل على اتفاق جميع الأنبياء على منهج التوحيد وأصل العبودية.

معنى تعريف ﴿الْمُنْذِرِينَ﴾:

دلَّت (أل) الداخلة على لفظ المنذرين من قول الله تعالى: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ على العهد الذهني؛ فأنبياء الله معهودون معروفون بمنهجهم القويم، ودعوتهم إلى الإصلاح في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

دلالة التعبير باسم الفاعل ﴿الْمُنْذِرِينَ﴾:

الوصف المشتق (منذرٌ) في قوله تعالى: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ اسمٌ فاعلٍ من (أنذر)، وهو جامعٌ للاسمية الدالة على الثبات، والفعلية الدالة على التجدد والاستمرار.

مناسبة الاقتصار على الإنذار دون التبشير:

اقتصر النظم الكريم على ذكر الإنذار دون التبشير في قوله تعالى: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾، وذلك لأنه أخصُّ بَعَرَضِ السورة، فإنَّها افتتحت بِذِكْرِ إِعْرَاضِهِمْ وَإِنْذَارِهِمْ⁽¹⁾؛ والمقام مقامٌ زجرٍ وتخويفٍ وبيانٍ لعلَّة نزول القرآن، وكَبَحِ جماح النَّفْسِ عَنِ الشَّهَوَاتِ

رسولُ الله درةٌ
قِلادةٌ سائر
المنذرين

منهج الأنبياء
واحد،
ورسالتهم
واحدة

انتقاء الألفاظ
معدوقٌ بمقصد
السورة وسياقها

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 196، 197.

أشقُّ على المسلم من حثَّها على الطَّاعات، والزَّمن الذي نزلت فيه السَّورة كان الشُّرك طامناً، والكفرُ مسيطرًا، فناسب ذكر الإنذار مراعاةً لما عليه غالبُ حال الناس.

بلاغة التعريض في ذكر الإنذار:

قولُ الله تعالى: ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ فيه تعريضٌ بتقرُّر وقوع العذاب المنذر به إن لم يؤمنوا بالقرآن ونبوَّة سيِّدنا محمد ﷺ، إيذاناً بأنهم في ذلك ليسوا بدعاً ممَّن سبقهم؛ فإنَّ الإنذار يستلزم وقوع المنذر منه، وهو هنا عذاب الله تعالى في الدارين.

الإنذار يستلزم وقوع المنذر منه

توجيه تعلُّق الجار والمجرور ﴿بِلِسَانٍ﴾:

يحتمل أن يكون الجارُّ والمجرورُ ﴿بِلِسَانٍ﴾ في قول الله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٨٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٨٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ متعلِّقًا بالفعل ﴿نَزَلَ﴾، ليدلَّ على أنَّ رسول الله ﷺ كان يتلقَّى من جبريل كلامَ الله بحروفٍ عربيَّة، أي: نزل جبريل ﷺ على قلب المصطفى بلسان عربي مبين؛ ولما كان القصدُ من السَّورة التَّسليَّة عن عدم إيمانهم بأنَّه لسُفول شأنهم، لا لخللٍ في بيانه، ولا لنقصٍ في شأنه، قال تعالى موضِّحاً: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾^(١)، ويحتمل أن يكون متعلِّقًا باسم الفاعل ﴿الْمُنذِرِينَ﴾، أي: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان، ليُقيم الحجَّة البالغة عليهم فلا عذرَ لهم.

عربيَّة القرآن إقامة للحجَّة على المخاطبين من قريش

بلاغة التَّقديم والتَّأخير:

على القول بتعلُّقه بفعل النُّزول أو التَّنزيل، أُخِّر شبهُ الجملة ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ في النِّظم الكريم، وقُدِّم ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾، فقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٨٢﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٨٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾، ولم يجيَّ النِّظم: (نزل به الرُّوح الأمين بلسان عربي مبين على قلبك لتكون من المنذرين)، للإشعار بأنَّ محطَّ

تقديم مواضع الاهتمام أرسخ في قذح الأذهان

(١) البقاعي، نظم الدرر: ٩٧/١٤.

النَّظَرُ وابتداء الأمر في ذكر الحالة الأهم والأخص بأن يكون تنزيهه على قلب رسول الله ﷺ ليحفظه ويعيه، ثم وصف حالة أخرى له، وهي أن يكون بلسان عربي مبين، بعد أن حفظه رسول الله ووعاه.

كما أن النزل على قلب سيدنا رسول الله ﷺ لدلالته على فهمه ووعيه وحفظه يقتضي أن يكون بلسان عربي مبين، فلو نزل بلسان أعجمي لكان نازلاً على سمع رسول الله ﷺ دون قلبه؛ فيكون ذكر اللسان العربي المبين تصريحاً بما علم ضمناً، لأهمية هذا الوصف، فهو مدح للسان العربي، ولتوكيد مقتضاه، من بلوغ رسالة الإنذار المخاطبين بها من العرب.

التأخير
للتصريح بعد
التضمنين،
والإجلاء بعد
الإخفاء

وفي تأخير شبه الجملة فائدة أخرى، هي الاعتناء بأمر الإنذار، والإيماء إلى أن مدار كون الرسول من جملة المنذرين المذكورين ﷺ: مجرد إنزال القرآن عليه، لا إنزاله باللسان العربي؛ فلغات الرسل المنذرين متعددة، لكن رسالة الدعوة إلى التوحيد والإنذار من الشرك واحدة⁽¹⁾.

رسالة المنذرين
واحدة، وإن
تعددت لغاتهم

بلغة المجاز المرسل في ذكر اللسان:

لفظ اللسان في قول الله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ مجاز مرسل، علاقته الآلية، حيث ذكرت آلة النطق وهي اللسان، وأريد المنطوق وهو اللغة؛ ونكتة ذلك هو المبالغة في بيان القرآن وتصويره.

بيان القرآن
لسان ذلق،
تسابق معانيه
ألفاظه

نكتة الجمع بين وصفي ﴿عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾:

يحتمل أن يكون الوصفان بالعربية والإبانة في قول الله تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ لموصوف واحد وهو (اللسان)، ويحتمل أن تكون صفة العربية تقييداً للسان، وصفة الإبانة تقييداً لصفة ﴿عَرَبِيٍّ﴾؛ فلما كان في العربي ما هو حوشي لفظاً أو تركيباً، مشكل

الإبانة صفة
القرآن،
وخصيصته التي
امتاز بها

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 335، وأبو حيان، البحر الحيط: 8/ 189، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 264.

على كثير من العرب، قال: ﴿مُبِينٌ﴾ أي بَيِّنٌ في نفسه، كاشفٌ لما يُراد منه، غير تاركٍ لبساً عند من تدبره⁽¹⁾.

دلالة صيغة ﴿مُبِينٌ﴾ بين اللزوم والتعديّة:

﴿مُبِينٌ﴾ من قول الله تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ اسمٌ فاعِلٍ من (أَبَانَ)، يأتي لازماً ومتعدياً، والمعنى على اللزوم: (بَيِّنٌ) في نفسه، كاشفٌ لما يُراد منه، غير تاركٍ لبساً عند من تدبره، على ما تتعارفه العرب في مخاطباتها من سائر لغاتها بحقائقها ومجازاتها، على اتّساع إرادتها وتباعد مراميها في محاوراتها، وحُسن مقاصدها في كناياتها واستعاراتها، ومن يحيط بذلك حقّ الإحاطة غيرُ العليم الحكيم الخبير البصير⁽²⁾؟ والمعنى على التعديّة: مُبِينٌ لغيره طريق الحقّ من الباطل، والنور من الظلام.

بلغة استعمال مفردة ﴿مُبِينٌ﴾:

وفي الوصف بالإبانة في قول الله تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ إيماءٌ إلى أنّه بنفسه دليلٌ على حَقِّيَّته وصدقهِ وكونهِ من عند الله تعالى، وأنّ ذلك من الوضوح والظهور بمكانٍ، بحيث لا يحتاج دليلاً عليه، ولا برهاناً بين يديه⁽³⁾؛ ومن ثمّ فلا حاجة لكم في الإعراض عنه وعدم الإيمان به.

نكتة تقديم وصف ﴿عَرَبِيٍّ﴾ على ﴿مُبِينٍ﴾:

قدّم وصف ﴿عَرَبِيٍّ﴾ على وصف ﴿مُبِينٍ﴾ ليدلّ على شرف هذه الأمة وقوّة فصاحتها، حيث نزل القرآن بلسانهم، كما أنّ فيه تخصيصاً بعد التعميم، بتأخير الوصف ﴿مُبِينٍ﴾، ولو قدّم لاحتمل أن يكون مُبِيناً بغير العربيّة؛ فدلّ تقديم ﴿عَرَبِيٍّ﴾ على كمال العربيّة وشرفها بين اللغات، فهو من باب وصف العامّ بالخاصّ.

إبانة القرآن
ذاتية ومتعدية
لغيرها

الإيماء إلى
اشتماله على
أسباب الصدق
والحقّ

كمال العربيّة
لم يكن إلّا
بالقرآن، وإبانة
القرآن لا تكون
إلّا بالعربيّة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 97/14.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 98/14، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 190/19.

(3) ابن التّمجيد والقونوي، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 312/13.

بلادة التعريض في ذكر عربية القرآن وإبانته:

إِعْرَاضُ
لِلْمُشْرِكِينَ بِسَبَبِ
اسْتِكْبَارِهِمْ، لَا
لِعَدَمِ فَهْمِهِمْ

قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ فيه تعريضٌ بالمشركين، وتقريعٌ لهم بأنَّ الذي حملهم على التكذيب هو الاستكبار والعناد، وليس عدمُ الفهم؛ لأنَّ القرآن نزل بلغتهم، وهو واضحٌ مُبين، فلا عذرَ لهم في الإعراض عنه؛ كما أنَّ فيه تعريضاً لكلِّ من لم يؤمن بالقرآن، بأنَّه لا عذرَ له بعد قيام الحجَّة، ووضوح البرهان.

غرض تنكير ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾:

جاءت الألفاظ الثلاثة ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ نكرةً للتعظيم والتفخيم، وإشارةً إلى أنَّه نزل بأعظم لغة لأشرف أمة، وبلغ غاية الإفصاح والإبانة والوضوح.

❖ الفرق المُعْجَمِيَّة:

الإبانة والظهور والبدؤ:

الإبانة الإفصاح،
والبدؤ يكون
بغير قصد،
والظهور بقصدٍ
وبغير قصد

الظهور يكون بقصد وبغير قصد، تقول: استتر فلان ثمَّ ظهر، ويدلُّ هذا على قصده للظهور، ويُقال: ظهر أمرُ فلان وإن لم يقصد لذلك؛ فأما قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الروم: 41] فمعنى ذلك الحدوث، وكذلك قولك ظهرت في وجهه حمرة، أي: حدثت، ولم يُقصد أنَّها كانت فيه فظهرت.

أما البدؤ فهو إما يكون بغير قصد، تقول: بدا البرق، وبدا الصَّبْحُ، وبَدَتِ الشَّمْسُ، وبدا لي في الشَّيْءِ، لأنَّك لم تقصد للبدؤ⁽¹⁾، وأما الإبانة فهي الوضوح والظهور والإفصاح؛ ففيها معنى الفصاحة، بخلاف البدؤ والظهور، وتستعمل الإبانة مع اللسان والقول، لذا ناسب أن يوصف اللسان بالمبين في قول الله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾.

(1) العسكري، الفرق اللغوية، ص: 343، 344.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعْرَاء من الآية 96 إلى سورة النَّمل الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعْرَاء من الآية 96 إلى سورة النَّمل الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 39، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-84-6

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 39: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعْرَاء من الآية 96 إلى سورة النَّمل الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-84-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»